

قيم التجديد في الخطاب القرآني وتجلياتها في البيان النبوي-دراسة تأصيلية في ضوء الكتاب والسنة-

الدكتور عبد الرحمن صحراوي¹

¹ مخبر الدراسات الأدبية والحضارية، جامعة تندوف، الجزائر

abderrahmane199426@gmail.com

استلم: 17-07-2026، مقبول: 21-07-2026، نشر: 29-07-2026

Values of Renewal in the Qur'anic Discourse and Their Manifestations in the Prophetic Exposition: A Foundational Study in Light of the Qur'an and the Sunnah

ABSTRACT: This research examines the value of renewal (*tajdīd*) as a deeply rooted principle in the Qur'anic discourse—in both its form and its content—and investigates the manifestations of this value in the Prophetic exposition (*al-bayān al-nabawī*), which is the applied explanation of the revealed message. It proceeds from a central problem: how did the Qur'anic discourse establish the values of renewal in its structure and meanings, and how did the Prophetic exposition realize and actualize them in the life of the Muslim community? The study adopts the inductive and analytical methods in tracing the legal texts and interrogating their significations, while committing to the authentication (*takhrīj*) of the hadiths and the statement of their grades. It concludes that renewal, in the Islamic conception, is a revival of the religion and a purification of it from extraneous accretions—not a substitution of its foundations; that the form and content of the Qur'anic discourse carry a perpetual renewing energy; and that the Prophetic Sunnah represented the ideal applied model for actualizing these values through controls that link *ijtihād* to the firmly established constants, combining authenticity with flexibility.

KEYWORDS: Renewal (*Tajdīd*); Qur'anic discourse; Prophetic exposition; Sunnah; values; authenticity and modernity.

المخلص: يتناول هذا البحث قيمة التجديد بوصفها أصلاً راسخاً في الخطاب القرآني شكلاً ومضموناً، ويبحث في تجليات هذه القيمة في البيان النبوي الذي هو الشرح التطبيقي للوحي المنزّل. وينطلق من إشكالية مركزية مفادها: كيف أرسى الخطاب القرآني قيم التجديد في بنائه ومعانيه، وكيف جاء البيان النبوي مُحَقِّقاً لها ومُنَزِّلاً إياها في واقع الأمة؟ واعتمد البحث المنهجين الاستقرائي والتحليلي في تتبع النصوص الشرعية واستنطاق دلالاتها، مع الالتزام بتخريج الأحاديث وبيان درجتها. وخلص إلى أنّ التجديد في التصوّر الإسلامي إحياء للدين وتنقيته له من الدخيل لا تبديل لأصوله، وأنّ شكل الخطاب القرآني ومضمونه يحملان طاقةً تجديديةً دائمة، وأنّ السنة النبوية مثّلت النموذج التطبيقي الأمثل في تنزيل هذه القيم بضوابط تصل الاجتهاد بالثابت، وتجمع بين الأصالة والمرونة.

الكلمات المفتاحية: التجديد، الخطاب القرآني، البيان النبوي، السنة، القيم، الأصالة والمعاصرة.

* المؤلف المراسل: الدكتور عبد الرحمن صحراوي.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على من أوتي القرآن ومثله معه، نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن الخطاب القرآني خطابٌ خالدٌ تكفل الله بحفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 9)؛ وخلوده لا يعني جموده، بل يحمل بين دفتيه طاقةً تجديديةً تجعله صالحًا لكل زمان ومكان. وقد جعل الشارع التجديد سنةً ماضيةً في هذه الأمة، كما في حديث: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»⁽¹⁾؛ فالتجديد قيمةٌ أصيلةٌ مأمورٌ بها، لا طارئٌ مستحدث.

غير أن مفهوم التجديد تعرض في العصر الحديث لالتباسٍ كبير، إذ خلط بعضهم بينه وبين التبديل والتحريف، فدعوا باسمه إلى نقض الثوابت. ومن هنا تبرز الحاجة إلى تأصيل مفهوم التجديد من معين الوحي ذاته: القرآن خطابًا، والسنة بيانًا؛ ليتبين أن التجديد المعتبر إحياءً لا إلغاءً، وتنقيةٌ لا تمييع.

إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية البحث حول السؤال الآتي: ما حقيقة قيم التجديد في الخطاب القرآني شكلاً ومضموناً؟ وكيف تجلّت هذه القيم في البيان النبوي؟ وما الضوابط التي تصون التجديد من الانحراف؟

أهمية البحث وأهدافه:

تنبع أهمية البحث من حاجة الأمة إلى تجديدٍ راشدٍ يصل حاضرها بأصولها. ويهدف إلى تأصيل مفهوم التجديد من الوحي، والكشف عن مظاهره في شكل الخطاب القرآني ومضمونه، وإبراز دور السنة في تنزيله، وضبطه بقواعد تعصمه من الغلو والتميع.

منهج البحث:

سار البحث على المنهج الاستقرائي في تتبع النصوص القرآنية والنبوية ذات الصلة، والمنهج التحليلي النقدي في استنطاق دلالاتها واستخلاص القيم منها، مع تخريج الأحاديث وبيان مراتبها وفق قواعد المحدثين، والاستئناس بأقوال أهل العلم من المفسرين وعلماء البلاغة وأصول الفقه. وقد روعي في التوثيق نظام المجلة، فأثبتت الإحالات في الهوامش والتعليقات، وألحقت بقائمة المصادر والمراجع مرتبةً، مع تحويلها إلى الكتابة اللاتينية (Romanization) في قائمةٍ مستقلة عملاً بمتطلبات النشر.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى مقدّمة وثلاثة مباحث وخاتمة: المبحث الأول في مفهوم التجديد وضوابطه في ضوء الوحي، والثاني في قيم التجديد في شكل الخطاب القرآني وتفاعل السنة معها، والثالث في قيم التجديد في مضمون الخطاب القرآني وبيان السنة له، ثم خاتمة بأهمّ النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مفهوم التجديد وضوابطه في ضوء الوحي

المطلب الأول: التجديد لغةً واصطلاحاً

التجديد في اللغة مصدر «جدّد»، من الجدّة وهي نقيض البلى؛ يقال: جدّد الشيء فتجدّد، أي صيّرهُ جديداً بعد أن كان خَلَقاً بالياً. وأصل المادة يدور على معنى إعادة الشيء إلى حالته

الأولى من القوة والنضارة، لا إنشاء شيءٍ لم يكن. وهذا المعنى اللغوي حاكمٌ في فهم التجديد الشرعي.

وأما في الاصطلاح فالتجديد: إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما، وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات. فهو ردُّ الأمر إلى ما كان عليه في عصر النبوة صفاءً ونقاءً، لا استحداث دينٍ جديد. وبهذا يتبين أن التجديد في حقيقته رجوعٌ إلى الأصل لا انفصالٌ عنه.

المطلب الثاني: أصالة القيمة التجديدية في الإسلام

دلّ حديث التجديد على أن هذه القيمة مغروسةٌ في صميم الرسالة، إذ أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد للأمة دينها. وقد فهم العلماء من قوله «يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا» أن المجدد هو فهم الدين والعمل به لا الدين نفسه؛ لأن الدين كاملٌ بنص قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: 3). فالتجديد منصبٌ على الإنسان وفهمه وتنزيله، لا على الوحي وثوابته.

وهذا المعنى يتناغم مع طبيعة الخطاب القرآني الذي خاطب الفطرة في كل جيل، فكان متجدد العطاء؛ قال تعالى في وصف عطائه المتجدد: ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء: 82). وقد قرّر العلماء أن عجائب القرآن لا تنقضي ولا تخلق على كثرة الرد، وهو سرُّ صلاحيته الدائمة للتجديد.⁽²⁾

المطلب الثالث: ضوابط التجديد المعتبر

ليس كل ما سُمي تجديدًا مقبولًا؛ فالتجديد المعتبر محكومٌ بضوابط تصّله بالوحي وتميّزه عن التبديل، أهمّها: أن يكون مرده إلى الكتاب والسنة لا إلى الأهواء؛ وأن يقع في محالّ الاجتهاد

المتغيرة لا في الثوابت القطعية؛ وأن يصدر عن أهل العلم الراسخين لا عن المتعالمين؛ وأن يكون غايته إحياء الدين وتقوية صلة الناس به لا إضعافها. وهذه الضوابط يفترق التجديد الراشد عن دعاوى التحريف التي تتخذ من لفظ التجديد سُلماً إلى نقض المحكمات.

المبحث الثاني: قيم التجديد في شكل الخطاب القرآني وتفاعل السنة معها

المطلب الأول: تجديد البناء البياني والأسلوبي

تتجلى قيمة التجديد في شكل الخطاب القرآني في إعجازه البياني الذي تحدى الله به فصحاء العرب فعجزوا، قال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ (الإسراء: 88). وقد بين علماء الإعجاز أن القرآن أحدث في نظم الكلام طريقة مبتكرة خرجت عن معهود العرب في الشعر والنثر والسجع، فكانت بناءً لغوياً متجدداً قائماً بذاته.⁽³⁾

ومن مظاهر التجديد الشكلي: نظرية النظم التي قررها عبد القاهر الجرجاني، ومدارها على أن بلاغة القرآن في توحي معاني النحو وترتيب الألفاظ على مقتضى المعاني؛ فليست الفصاحة في مفردات الألفاظ بل في تأليفها وتركيبها على وجهٍ مُعْجَز.⁽⁴⁾ ومنها التنويع الأسلوبي بين الخبر والإنشاء، والإيجاز والإطناب، والقصص والتمثيل، بما يخاطب العقل والوجدان معاً، ويجدد في المتلقي يقظته وإقباله.

المطلب الثاني: البيان النبوي شرحاً تطبيقياً لجماليات الخطاب

كان البيان النبوي امتداداً لجمال الخطاب القرآني وتفصيلاً لمُجْمَلِهِ؛ قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: 44). فالسنة بيان للقرآن قولاً وفعلًا وتقريرًا، وبها فهمت أساليب الخطاب ومقاصدها. وقد أوتي النبي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم،

فكان كلامه أفصح الكلام بعد القرآن، يبني على طريقته في إيقاظ الفطرة وتقريب المعنى بالمثل المحسوس.

وهذا يتبين أنّ التجديد الشكلي في الخطاب القرآني لم يكن منقطعاً عن التطبيق، بل تكفل البيان النبوي بإبراز طاقته الجمالية وتحويلها إلى منهج تعليمي حيّ يخاطب الناس على قدر عقولهم؛ فاجتمع للأمة جمال النصّ وحسن البيان.

المبحث الثالث: قيم التجديد في مضمون الخطاب القرآني وبيان السنة له

المطلب الأول: تجديد التصوّرات الكبرى

جاء الخطاب القرآني بتجديد جذريّ في تصوّر الإنسان عن الإله والكون والحياة والمصير؛ فأحلّ التوحيد الخالص محلّ الوثنية، وربط الإنسان بغاية كبرى هي عبادة الله وعمارة الأرض. وقد امتنّ الله بهذا التجديد على الناس بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: 2). فالرسالة تلاوة وتزكية وتعليم؛ وهي جوهر التجديد المضموني.

المطلب الثاني: تجديد منظومة القيم والأخلاق والتشريع

ومن مضامين التجديد القرآني إعادة بناء منظومة القيم على أساس العدل والرحمة وكرامة الإنسان؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107). وقد جاء البيان النبوي مجملاً لهذه الغاية في قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»⁽⁵⁾؛ فالبعثة تتميم وتجديد لمكارم الأخلاق التي اندرست. وفي التشريع جاء القرآن بالتدرّج ومراعاة المآلات ورفع الحرج، مراعيًا تجدد أحوال الناس دون مساسٍ بالمقاصد الكلية.

وهذا المعنى هو ما قرّره علماء المقاصد من أنّ الشريعة جاءت لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل، وأنّ أحكامها معلّلة بالحكم والمصالح؛ وهو أصلٌ يفتح باب التجديد في النوازل المستجدة عبر الاجتهاد المنضبط بالمقاصد.⁽⁶⁾

المطلب الثالث: المنهج النبوي في تنزيل قيم التجديد

تكفل المنهج النبوي بتنزيل قيم التجديد القرآني إلى واقع عمليٍّ معيش، عبر وسائل تربوية متدرّجة: التعليم بالقدوة، والموعظة الحسنة، ومراعاة أحوال المخاطبين وأفهامهم. وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم رسالته بأنّها رسالة تعليم وإصلاح في قوله: «وَأِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا»⁽⁷⁾، وهو وإن كان في إسناده مقال، فإنّ معناه تشهد له الأصول القطعية وآيات التعليم والتزكية. ومن معالم هذا المنهج: الجمع بين الثبات على الأصول والمرونة في الفروع، والتيسير ورفع الحرج، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم، والتدرّج في التكليف. وهذه المعالم قدّمت السنة نموذجًا تطبيقيًا للتجديد الراشد الذي يجمع بين أصالة المنبع ومرونة التنزيل؛ وهو عين ما تحتاجه الأمة اليوم في تعاملها مع نوازلها ومستجدّاتها.

خاتمة:

توصّل البحث إلى جملةٍ من النتائج، أبرزها:

1. التجديد قيمةٌ أصيلةٌ في الإسلام دلّ عليها حديثُ التجديد، وهو إحياء للدين وتنقيته له لا تبديل لأصوله.
2. الخطاب القرآني متجدّد العطاء في شكله ومضمونه؛ فشكله مُعْجَزٌ مبتكر، ومضمونه يجدد التصوّرات والقيم والتشريع.

3. البيان النبوي هو الشرح التطبيقي لقيم التجديد القرآني، جمع بين إبراز جمال الخطاب وتنزيل مقاصده في الواقع.

4. التجديد المعتبر محكوم بضوابط: الرجوع إلى الوحي، وحصره في محال الاجتهاد، وصدوره عن الراسخين، وقصد الإحياء.

ويوصي البحث بالعناية بتأصيل مفهوم التجديد في المناهج العلمية، وتمييزه عن دعاوى التحريف، والإفادة من المنهج النبوي في معالجة النوازل المعاصرة بميزان الأصالة والمرونة.

الهوامش والإحالات

- (1) حديث: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا». أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب ما يُذكر في قرن المائة، رقم (4291)، عن أبي هريرة رضي الله عنه. صحَّح إسناده السخاوي في المقاصد الحسنة، وأخرجه الحاكم في المستدرک والطبراني في المعجم الأوسط، وحسنه جمعٌ من أهل العلم.
- (2) ينظر في تقرير عدم انقضاء عجائب القرآن: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (النوع المتعلق بمعرفة بدائع القرآن وإعجازه)؛ والسيوطي، الإتيقان في علوم القرآن (النوع الرابع والستون في إعجاز القرآن).
- (3) في تقرير الإعجاز البياني وخروج نظم القرآن عن معهود العرب: الباقلاني، إعجاز القرآن؛ والرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية.
- (4) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، في تقرير نظرية النظم وأنّ الفضيلة في توحّي معاني النحو وترتيب المعاني.
- (5) حديث: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ». أخرجه أحمد في المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد والبيهقي؛ وصحّحه الألباني في صحيح الجامع.
- (6) في تحليل الأحكام بالمصالح ومقاصد الشريعة: الشاطبي، الموافقات (كتاب المقاصد)؛ وابن تيمية، مجموع الفتاوى.
- (7) حديث: «وَأِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا». أخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فضل العلماء والحثّ على طلب العلم، رقم (229)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي وهو ضعيف، فالحديث ضعيف الإسناد، لكنّ معناه صحيحٌ تشهد له آيات التعليم والتزكية.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية.
2. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
3. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

4. أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م.
5. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، بيروت.
6. الباقلائي، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر.
7. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
8. دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن، دار القلم.
9. الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة.
10. الرافي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت.
11. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، 1957م.
12. السخاوي، شمس الدين، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، دار الكتاب العربي، بيروت.
13. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإنقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
14. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان.
15. القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، الرياض.

سيرة المؤلف

الدكتور عبد الرحمن صحراوي، حاصلٌ على الدكتوراه في تخصص السنة النبوية وعلومها، باحثٌ في الحديث الشريف وعلومه ومناهج المحدثين. تتركز اهتماماته البحثية في دراسة الأحاديث تخريجاً ودراسةً، وفي التأصيل المنهجي للعلوم الشرعية، والصلة بين القرآن الكريم والبيان النبوي. له مشاركاتٌ في ملتقيات علمية وطنية ودولية. البريد الإلكتروني: abderrahmane199426@gmail.com.